أما تراهم أضاعوا * عقولهم في المغيب
والعمر قد أنفقوه * في كل مردو معطب
هذا اعتذاري اليهم * عنا سلبت واسلب
ثم تركني وانصرف اه { متجول }

﴿ الامة ومشخصاتها ﴾

(٢)

وحدة الدين أو وحدة التوحيد

من الاصول التي ترجع اليها المشابهات بين افراد الامة وحدة الدين. دين الشعب مبادئ مقدسة في قلوب افراده على صورة الخضوع الي المعبود وتقديم مايسمونه بالحسنات واجتناب مايسمونه بالسيئات . ذلك معنى الدين في الشعوب الوثنية والصابئية الخ . .. وهو في الديانات السماوية التصديق بوحدانية الخالق عز وجل والائتمار بأوامره المنزلة على الرسل واجتناب نواهيه والاتصاف بالآداب التي أرشدت اليها الكتب المقدسة . الدين على كلا النظرين وازع يزع النفوس الى الرجوع لقواعد ثابتة ومبادئ عامة تفضي بافراد الملة الواحدة الى الاتحاد في الافكار والمقاصد والاخلاق بل وفي العادات فهم بذلك متشابهون ومتى تشابهوا أصبح مجموعهم ماسميناه بالامة

الدين الفاسد كالدين الصحيح في افادة التشابه بين الافراد لانه يضمهم الى مبدأ واحد ولو فوت عليهم لذة الاعتقاد الصحيح في الدنيا وساقهم في الآخرة الى العذاب الاليم. ذلك لانا نقصد بيان ما للدين من

النتائج الاجتماعية تاركين لعلماء الاديان ابحاثهم فى ترجيح مايرجحون . أولئك الوثنيون يعتقدون أو يكادون يعتقدون بأن التماثيل التي بأيديهم ينتحلون لها التصرف فى الكون. وفى أرواحهم ومايكتمون. وفى أموالهم ومايجمعون وفى سعادتهم وما يرجون .وشقائهم وما منه يشفقون . من أجل ذلك هم لها يسجدون. أولئك وان فسدت أخلاقهم وسفهت أفكارهم وضلت قلوبهم وقبح مايصنعون . افراد متشابهون لهم كلمة متحدة وعصبية قوية بل هم بذلك أمة لها عزة بشخصيتها ومنعة بجمعيتها وان ساء ماهم عليه مجمعون .فالفائدة الاجتماعية تتوقف على وحدة المبدأ لاعلى صحته . كذلك ترى المجوس على النار عاكفين يعرفون لها أنها جوهر الجواهر ورب القدرة كالي الهلكة نبراس الحكمة ونور الرشاد هم أيضا بما يعملون أكفاء لأن يكونوا أمة حقيقية لها روح حية . وغيرهم وغيرهم من أولي النحل

الدين من حيث كونه رابطة شديدة من روابط الاجتماع يجب أن يكون سهل الفهم ذا أصول واحدة فى اعتقاد كل الذين يدينون به فكلما تشعبت أصول عقائده وانقسم الناس فيه الي طوائف مختلفة العقائد تداعت أركان وحدتهم الامية وبرزت بينهم الفروق على المشابهات فتصبح كل طائفة كأنها أمة مستقلة وليس لها من منعة الامة المستقلة مايضمن لها البقاء فتنحل بذلك عقدة عصبيتها وينصرم حبل الاجتماع بين أفرادها وتصير لقيفا بعد ان كانت أمة وبئس المصير . مثل الامة التى تشعبت أصول الدين فيها كمثل الامة التي أفرادها يدينون بأديان مختلفة في ان كلتيهما قد فقدت بفقدان الوحدة الدينية رابطة من أقوي الروابط الاجتماعية

ذلك لان لكل دين مبادىء خصوصية تصبغ النفوس بصبغتها قد لا يقل الفرق بينها وبين مبادىء دين آخر عن الفرق مابين الابيض والاسود فتتباين الاخلاق تبعاً لتباين الاديان . وأمة أخلاق أفرادها متباينة لاشخصية لها ولاحياة . قدسبب اختلاف الدين في الازمان السالفة بين الامم حروبا كادت تكون مستمرة لولوع كل أمة بنشر دينها وتمسك كل أمة بعصبياتها فلا نستغرب اذن أن يكون أفراد الامة الواحدة مختلفو الاديان أعداء فى زى أصدقاء من حيث لايشعرون

مما ذكرنا يتلخص أن الدين بمبادئه وتعاليمه أصل مهم للمشابهات بين الافراد. تلك المشابهات التي اليها ترجع مشخصات الامة غير ان الدين الذى يوصف بكونه ركنا كبيراً من أركان الجمعية المدنية الانسانية يجب أن يكون آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ثابت الاصول معقول الفروع صحيح الذى العقلاء أعنى بذلك الاديان الصحيحة السماوية لان النفس انما تتعظ بما تعتقده منزلا من عند الله سبحانه وتعالى ولاشك في ان التمسك بالدين الصحيح وصلاح الافراد ينتج بالضرورة صلاح الامة وترقيها . ولوأن الاديان الفاسدة كالاديان الصحيحة فى افادة الجامعة القومية الا ان الثانية تفضل الاولى فى الاجتماع بافادتها ترقية أفكاره وتهذيب أخلاقه فيصبح جديرا بأن يعد اجتماعا انسانياً كاملا

من الناس من عساه يظن ان الدين وعدمه سيان فى افادة المشابهة بين أفراد الامة الواحدة مادام الغرض مساواة الافراد فى المبادىء فأمة رابطة أفرادها عدم الدين كأمة رابطة أفرادها الدين لوجود المشابهة بينهم فى الحالين وما علم أولئك الظانون ان العدم لايكون رابطة بل ماعلموا أن عدم الدين

فى أمة انما هو رجوع بأفرادها الى قانون الطبيعة قانون الشهوة المتناهية والعدوان الدائم قانون الاثرة وحب الذات فلا همّ لفرد الا ان يسد شرهه الفاغر الفم ويرضي شهوته التى لا ترضى. بذلك تتناقض أغراض الافراد وأميالهم وتتباين الافكار وتتباعد الاخلاق . هنالك تتسع دائرة الفروق وتنعدم المشابهات فتنحل الامة أى انحلال

قد تقوم وحدة التوحيد مقام وحدة الدين في افادة المشابهات بين الافراد فالاديان السماوية اليهودية والنصرانية والاسلام أديان بينها تقارب فى المبادىء وفي بعض العقائد فلا خوف على أمة دانت بها جميعا متى تأصل الاعتقاد الصحيح بتلك الاديان فى قلوب الافراد وانتبذ الغلو والتعصب بالخلاف مكانا قصيا . كل الاديان الثلاثة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يدعو للايمان بالله وحده لا شريك له ولا ولد له ولا صاحبة له وباليوم الآخر ويعلم طمأنينة النفس تلقاء القضاء المحتوم ومواساة الضعفاء واقامة العدل ويفيض على القلوب نور النظر الى هذا العالم الفانى بانه دار ممر لا دار مقر وان الآخرة هى دار القرار وأنا مسئولون عن كل أعمالنا صغيرة وكبيرة {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره} هي بذلك توشك ان تكون دينا واحدا على شرط انه لا يخرج بالعقائد عن أصولها الاولى

تذييل على الدين في بلادنا

فى بلادنا الاديان الثلاثة السماوية الاسلام والنصرانية واليهودية ودين حديث العهد بها بدأ يمر بعقول بعض الناشئين وهو اللادين أو دين المفكرين الاحرار . ذلك الدين الحديث العهد أو ذلك اللادين منشؤه جهل قواعد الدين الصحيح الذى نجم عن اغفال التربية الدينية فى محلات التعليم عند جميع الطوائف

فى هذه البلاد . والعقيدة الاساسية لذلك الدين انكار وجود غير المحسوس فانكار وجود واجب الوجود بحجة انه لا يرى بالعين ولا يسمع بالاذن سبحانه وتعالي عما يريدون . حجتهم البالغة لما يلفظون تحويل قول «لافوازييه» {ان المادة لاتنعدم ولاتتجدد} عما عساه كان يريد الي ان المادة قديمة بالذات فهى أبدية فلا فناء . والتحدى بما يفهم من مذهب « داروين » ان الخليقة الاولي أو أصل التكوين موجودة لذاتها فلم تكن معدومة قبل الي غير ذلك مما يكون تعرضنا الي ذكره خروجا عن الموضوع . تلك أطراف مسائل ترد عرضا للناشيء فى مطالعاته الدراسية وقلبه خال من الاعتقاد لأنه ماسمع به الا لفظا يجرى على الالسنة فى الأيمان بين الناس في الشوارع اذ يتحالفون أو يتشاتمون . تصادف تلك القضايا الفلسفية منه قلبا خاليا من الدين فتحل فيه لاعلى وجه الرسوخ والدوام بل على وصف انها شيء جديد علمه قبل أفراد شعبه فاذا دعي الله أمامه ثنى عطفه اعجابا بلا دينه وصعر خده وأخذ يتلطف بالداعي ويشفق عليه من ضلالته وتأخره في المدنية الى حد أنه ماقرأ قول (لسنج)

« ان الوهم الذي به غذينا ولو أنكره العقل لايفقد سلطانه علينا » . فما الساخرون بما فى أعناقهم من الاغلال فاكيها بسخريتهم » ولاقول {تين}

« للناس ذكاء التقليد فلا تجد فى المئة ثلاثة يشيدون بانفسهم لانفسهم رأيا مستقلا فى الدين فمتى فتح الطريق ولجه سبعة وتسعون ومن الثلاثة الباقين اثنان ونصف يدخلون تعيين من عناء البحث العقيم الي ذلك الطريق المضروب » ولا اقتدى بقول {رينان}

« ان الاخاء الحقيقي انما يكون بين الناس بالاحسان لا بالاعتقاد الديني »

ولا تمثل بقول (دولباسيل)

« أيمكن أن يقنع الانسان نفسه بوجوده جود مجهولة طبيعته »

ولا قول (شوپنهاور)

« الديانات أبناء الجهل لا تعيش بعده زمنا طويلا » الى غير ذلك مما يعزونه الى أبي العلاء المعري وغيره من الاقوال التي هي أشبه بالسخرية منها بالفلسفة . ذلك بأن المصري يخرج من بيت أبيه الي المدرسة لا يسأله أبواه أداء واجب ديني ولا يسمع ما العقيدة وما الدين سواء كان مسلما أو نصرانياً أو يهوديا فاذا كبر لا يصرف وقتا ما في مطالعة كتب دينه بل يثقل عليه النظر فيها بأكثر مما يثقل عليه النظر الي كتاب درسه وامتحن فيه قراءه للامتحان وقد مضى كما هي عادة التعليم

اهمال تعليم الاديان الثلاثة يوشك أن يجعل لنا في بلادنا دينا رابعا هو اللادين فيفسد علينا أبناءنا ويمحو المشابهات بيننا وبينهم فيصبحوا لا يعرفوننا ولا نعرفهم وكفي بذلك انحلالا بين أفراد الامة الواحدة

السواد الاعظم من الناس لا يكاد يفهم من الدين الا أفعالا عادية قد لا يقصد بها التطوع ولا التقرب من الله تعالي بل هي جارية عنده مجرى العادة الصرفة وهذا ليس من الدين الحقيقي في شيء . كذلك يري بين القوم من يحافظون على الصلوات والصلاة الوسطى فاذا جن الليل قاموا الي سرقة المال أو هتك العرض أو قتل النفس فما صلاتهم التي مانهت عن منكر ولا فحشاء الا أفعال اعتادوها كما اعتادوا المنكرات . كذلك من لا يقتل ولا يسرق هو يكذب أو يؤدي شهادة الزور أو يقذف المحصنات الي غير ذلك مما يضيق

عنه المقام اليس هذا كله نتيجة عدم الاعتناء بتعليم الدين ؟ ألا ترى أن بعض المتربين المعلمين يتسامحون في ذكر اخوانهم بالسوء أو رميهم بالباطل مما لا يليق ؟

أليس من الغريب الغير المفهوم العناية بأمر تعليم الابناء من العلوم ما يكون به التوظف أو ما ينتفع به في الصناعة واغفال تعليم الدين الذي هو مدار الصلاح ومنبع الفضيلة وطريق الامن والرجولية ووسيلة الترقي الحقيقي ؟ أوليس الرجل ولا دين له لا يؤمن على واجب يؤديه أو حق يقضيه بل لا يؤمن على شيء زهيد يبيعه أو يشتريه ؟ أليس من المستحسن انا اذا ما أردنا أن يكون لأمتنا مشخصات نريد أن يكون أبناؤها على الاقل رجالا بتعاليم دينهم ؟

الآن تعلم الحكومة في مدارسها العلوم النافعة لها في الاعمال . كذلك المدارس الاهلية تعلم تلك العلوم بعينها أو بعضها ولا ثم واحدة من المدارس تمزج تعليم الدين بتعليم تلك العلوم وقد عرفنا نتيجة ذلك أن يكون الرجل عالما لا اخلاق له فما فائدته في الوجود وما فائدة علمه ؟ لا شيء ألبته

نقترح اذن أن يكون لكل من الملل الثلاث مدارس خاصة ليس فيها غير افراد الملة الواحدة المتحدي الدين تعلم في تلك المدارس العلوم الحالية ابتدائية وثانوية مع تعليم العقائد الدينية والاصول والفروع على وجه كامل وبعد الدراسة الثانوية لا بأس من اجتماع الطلبة في مدارس الحكومة العليا على اختلاف أديانهم فنكون بهذه الطريقة حصلنا على أشخاص على اختلاف أديانهم يعرفون دياناتهم حق المعرفة صالحين لان يشغلوا وظائف الحكومة ويسدوا حاجات التجارة والصناعة . على ناظرا الى ظاهر القول يدور في خلده أنا نرمي الى التفريق بين الطوائف المكونة للشعب بالتفريق بين أبنائها في التعليم . نقول انا ما أردنا التفريق بل أردنا التوحيد